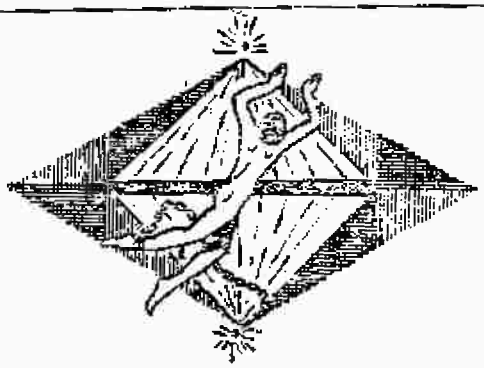

موت الشاعر

لعلي محمود طه المهندس

مَالوا بِمِصْباحِ البَيَانِ مَصَاحا ... ومَشَوا بِهِ في الدَّاهِبِين رواحا
ومَضَوا بِهِ الا شُعَاعاً لَمْ يَزَلْ ... في الأَرضِ يُؤْتَلِقُ الضُّحَى وضَّاحا
تَهْفُو النُّجُومُ إِلى سَنَاهُ وتَغْتَدي ... تَشْوى كَأَنَّ مِنَ الأَشِعَّةِ رَاحا
وعَلى جَرَائِبِ أَرضِها وسَمَائِها ... شَفَقٌ تَقَلَّدُهُ السَّمَاءُ وِشَاحا
هذا شُعَاعُ العَبْقَرِيَّةِ لَمْ يَزَلْ ... يُولِي الحَيَاةَ ضَلَاقَةً وسَمَاحا
قَدَّرْ لِخُلُودَ لَهُ وبَارَكَ أَنَّهُ ... رَبٌّ أَرادَ بِهِ هُدًى وصَلَاحا
أَجْرَى البَيَانَ عَلى لِسَانِ نَبِيِّهِ ... غَدَقاً مِنَ السِّحْرِ المُبِينِ فَرَاحا
وحَبَا بِهِ الشُّعَرَاءَ مِن أَطْيَابِهِ ... فَشَدَوا بِأَلْسِنَةِ الطُّيُورِ فَصَاحا
لَمَّا مَشَى في الأَرضِ فَجَّرَ صَخْرَهَا ... مَاءً وَنَضَّرَهَا رُبًى وَبِطَاحا
وأَفَارَ في شَرَفِ السَّمَاءِ نُجُومَهَا ... فَتَلَوْنَ مِن آيَاتِهِ الأَلْوَاحا
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا ضُحًى وكَأَنَّمَا ... في كُلِّ دَاجِيَةٍ رَى مِصْبَاحا

* * *

قُلْ لِابْنِ عَدْنَانَ لَادَوَتْ لَكَ كَرْمَةٌ ... فَلَقَدْ أَرَاكَ هَزَارُهَا الصَّدَّاحا
قَدْ كُنْتَ في أَمَمٍ تَزِيلُ رِحَابُهَا ... فَنَزَلْتَ أَشْرَفَ مَا أَبَلَّغُ سَاحا
أَلْقَى وأَسْمَعُ عَبْقَرِيًّا مِثْلَهُمْ ... طَلَقَ المُحَيَّا مَاجِداً مِسْمَاحا
يُولِي النُّفُوسَ بَشَاشَةً ويُنِيلُهَا ... أَدَباً ويَسْقِيهَا الرَّدَادَ صُرَاحا
أَنِسَتْ زَمَاناً بِالبَيَانِ وأَهْلِهِ ... حَتَّى تَبَدَّلَ أَنَّهَا أَرْوَاحا
وقَفَتْ بِيَ الدُّنْيَا عَلى جَنَبَاتِهَا ... فَرَأَيْتُ حُزْناً واسْتَمَعْتُ نُوَاحا

وشهدتُ قيسٌ أنوثتْ فوق ظِلالها ... يغشى الرُّبى ويجُسُّ الأدواحا
وجبستْ وكانتْ بالقطيرِ شواغراً ... تستقبلُ الإمساءَ والإصباحا
وذوتْ أزاهيرُها ونُضِّرَ طِبْرُها ... يمرو ويقطرُ أدمُعاً وجراحا
يبكي من الصَّدرِ الوَرودَ لجدولٍ ... كمْ عبَّ من دفّاتِهِ وامتاحا
لمّا نُعيتَ لها تزايلَ حُسْنُها ... وصفَا الرَّبيعُ بوجهِهِ وأشاحا
سحبانُ بعدكَ يابنَ حاوٍ دهرُها ... يَسري نسيّاً أم يهبُّ رياحا

***

قُمْ وابكِ لِلشِّعرِ الّذي رِقَّ لهُ ... أمضَى زمانُ النّابغينَ وراحا؟
واهتِفْ بصَومعةِ البيانِ فقدْ خلا ... عهدُ الرّسالةِ بالتّعرّضِ وطاحا
ولّى بِسِرِّ العَبقريّةِ شاعرٌ ... اللهُ هيّأهُ لنا وأتاحا
لمْ تُسعِدِ الفُصحَى بمثلِ رَوائِعِهِ ... يوماً ولا لقِيَ الخيالُ جَناحا
شِعرٌ حوَى الدُّنيا ونَسّقَ حُسنَها ... صُوَراً ومُثُلُها مُنًى وطِماحا
يَستَلهِمُ الأكوانَ وحيَ خَواطِرٍ ... حتّى لَيَنطِقُ وحيُها إفصاحا
ويُزيحُ عن ماضي العُصورِ سِتارَها ... فتَرَى بِها الغادينَ والرَّوّاحا
هوَ مثلُ هذا الطّيرِ في سَدَحاتِهِ ... والزّهرِ لُطفاً والسّبيرِ نَفاحا
وأراهُ كالبَحرِ الخِضمِّ عُبابُهُ ... يُغني مَدّاهُ الحائضَ السَّبّاحا
ويظُنُّهُ المَلّاحُ طَوعَ شِراعِهِ ... فيَرُدُّ عن غَمَراتِهِ المَلّاحا
يُهدي، اذا هدأَ، الثّرَى أصدافَهُ ... واذا تَمَرّدَ، دُرَّهُ الّلمّاحا
وأراهُ حينَ يرِقُّ طائرَ نَسمَةٍ ... واذا قَسَا فالعاصفَ المُجتاحا
شعرٌ يشِفُّ عنِ الحياةِ وداعةً ... ويَرُجُّ منها ثورةً وكِفاحا
ويُبينُ من غَضَبِ النُّفوسِ وصفوِها ... مثلَ الحياةِ كآبةً ومِراحا
ويفيضُ من نِعَمِ القلوبِ فآنةً ... ماءً، وآنًا جامداً لفّاحا
والشِّعرُ مرآةُ الحياةِ ولمْ يزلْ ... يجلُو الرُّؤى ويُصوِّرُ الأشباحا
والشِّعرُ من أدبِ النُّفوسِ ولنْ ترَى ... من دونِهِ حِدْياً ولا إصلاحا
ولقدْ تذوّقتُ الحياةَ فلمْ أجِدْ ... كالشِّعرِ ريّاً للنفوسِ وراحا

***

قلْ للكنانةِ عن رمائكِ أقصِري ... فلقدْ فقدتِ الرّأيَ النّضّاحا
صيّادُ أسرابِ الجمالِ اذا رنَا ... جاءتهُ ما عرفتْ لديهِ جِماحا

يدني القصيَّ من الشوارد لفظُهُ ... ويروضُ منها النافرَ المراحا
من كلِّ معنىً والروائعِ حافلٍ ... يُجلَى كما تجلى الشموسُ صباحا
وقصيدةٍ كالروضِ بكرِ الحيا ... فاهتزَّ ريحاناً ورنَّ أقاحا
من للطبيعة يستزيدُ جمالها ... غُرراً كآيات الكتاب وضاحا
ذهب الذي غنَّى خيالَ روضها ... حتَّى مددنَ الى النسيمِ الرَّاحا
المرقصُ الزهراتِ فوقَ غصونها ... والمستخفُّ عبيرَها القرَّاحا
والمسمعُ الأيكاتِ منهُ بمثلهم ... كانتْ به الجنَّاتُ قبلُ شِحاحا
أوحَى لهُ المرحَ الوجودُ فعاشهُ ... شدْوًا، وعلَّمهُ الثواحَ فناحا
لمَّا جلا سرَّ الصباحِ لقلبهِ ... أنْضَى بأسرار القلوب وَراحا
سُبحانَ من أهدى الخيالَ براعهُ ... وهدى لهُ الإبداعَ والإسجاحا
فتسمَّعوه فلم يزلْ من شيخرهِ ... شادٍ يهزُّ بسحرهِ الأرواحا

***

يا نازحًا عنَّا رلتَ بمعالمٍ ... تلقى الأحبةَ فيهِ والزُّرَّاحا
فاحلُلْ بجنَّاتِ الخلودِ وروِّ من ... عينِ النعيمِ فؤادكَ المُلتاحا
واملأ من الزهرِ المنوَّرِ والجنَى ... كفَّيكَ واصرحْ عيشكَ الفدَّاحا
سترى الرسولَ على مسطَّرِ روضها ... يهدي إليكَ ببابها المفتاحا
يسعى (بحسَّانٍ) إليكَ وأنسُها ... وضحانِ من فجرِ النبوة لاحا
يختالُ في بُردِيَّةٍ من بردهِ ... حاكَ القريضُ خيوطَها أمداحا
يستافُ من ميلادهِ شوقيَّةً ... الله كانَ لمسكِها النفَّاحا
فاشرحْ هواكَ لهُ وبثَّ لواعجًا ... كانتْ لهنَّ دموعكَ الشرَّاحا
أبلغْ إلى (صبري) التحيةَ والهوى ... عنَّا وحيِّ جبينهُ الوضَّاحا
وامسحْ دموعكَ عن أسيرةِ (حافظٍ) ... فلقد لقيتَ بقربهِ الأفراحا
وتناولْ أقداحَ السرورِ معهما ... فلكمْ ملأتَ بدمعكَ الأقداحا
واذكرْ على الأرضِ الشقيَّةِ رفقةً ... باتوا عليكَ يقلِّبونَ الرَّاحا
في عالمٍ ما زالَ في غلوائهِ ... ومنًى على رَتْمِ الحطامِ تلاحى
أشرقْ بوجهكَ في غياهبِ ليلهِ ... يخلعْ دجاهُ اذا جبينكَ لاحا
وأضِ على شطِّ الحياةِ منارةً ... وأطلعْ بكلِّ دجيَّةٍ مصباحا
ونمِ الغداةَ وحسبُ روحكَ أنْ ترى ... من نورِ مجدكَ هذه الأوضاحا